

نداء إلى

العفيفات

﴿ وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ خَيْرٌ لَّهُمْ ﴾

إعداد

القسم العلمي بدار الوطن

دار الوطن للنشر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

دار الوطن للنشر - الرياض

هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١ - ص ب : ٣٣١٠

□ البريد الإلكتروني : pop@dar-alwatan.com

□ موقعنا على الإنترنت : www.dar-alwatan.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه
ومن والاه..وبعد :

فقد حرص الإسلام على العفة أيما حرص، فما من شريعة
عظمت شأن الحياء وصيانة القلوب كما عظمت شريعة الإسلام،
وما من كتاب دعا إلى العفاف والفضيلة وطهارة النفوس مثلما
دعا القرآن الكريم، وما من نبي حثَّ على حفظ القلوب
والجوارح مثلما حثَّ عليه نبي الإسلام..

إنها شريعة الاستقامة والطهر والصفاء والنقاء.. من التزم
حدودها نجا من طوفان الشهوات، ومن سلك سبيلها وصل إلى
طريق الفوز والنجاة، ومن تنكب دربها هلك وتجرع مرارة
الحسرات..

إن المرأة العفيفة درة مصونة، وجوهرة مكنونة، لا تعرف المكر
ولا الخداع، ولا حيل الساقطات في الفتنة والإيقاع.

فإذا كانت في بيت أبيها ملأت البيت نوراً وتقياً وهداية، وإذا
ذهبت إلى بيت زوجها حفظته في نفسه وماله وعرضه، وأخذت
تعلم أبناءها ما تعلمته في بيت أبيها من الحياء والعفة

والفضيلة . .

وهل للعفاف في دين الإسلام فضل؟

وهل للعفيفات الغافلات الطيبات أجر؟

إي وربي للعفاف في الإسلام فضل عظيم، وللعفيفات الطيبات أجر كبير، نطق به الكتاب العزيز، ودعت إليه سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، فمما ورد في فضله في كتاب الله عز وجل :

فضل العفاف في القرآن

١ - قال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون : ١ - ٧]. فقد وصف الله عز وجل المؤمنين بحفظ فروجهم والوقوف عند حدود الله عز وجل، وعدم تعدي ذلك إلى ما لا يحلّ لهم، فهؤلاء هم المؤمنون المفلحون يوم القيامة. قال ابن كثير : «أي والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام، فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا ولواط، لا يقربون سوى أزواجهم التي أحلّها الله لهم، أو ما ملكت أيماهم من السراري، ومن تعاطى ما أحلّه الله له فلا

لوم عليه ولا حرج، ولهذا قال: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلُومِينَ﴾ ﴿١﴾ فَمَنْ
أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ ﴿٢﴾ أي غير الأزواج والإماء ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْعَادُونَ﴾ أي المعتدون ﴿١﴾.

٢ - وقال تعالى: ﴿قَالَصَلِّحْتُ قَلْبَكَ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا
حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿قَالَصَلِّحْتُ﴾ أي من النساء
﴿قَلْبَكَ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: يعني مطبوعات
لأزواجهن: ﴿حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ﴾ قال السدي وغيره: أي
تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله. وقوله: ﴿بِمَا حَفِظَ
اللَّهُ﴾ أي المحفوظ من حفظه الله ﴿٢﴾.

٣ - وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ
وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٣١٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/٦٤٢).

عَظِيمًا ﴿ [الأحزاب : ٣٥] . فبيّن الله في هذه الآية أن حفظ الفرج وصيانته عن الحرام من جملة أسباب المغفرة والأجر العظيم يوم القيامة .

٤ - وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِمَخْرُجِنَّ عَلَى جُجُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ [النور : ٣١] .

أيتها المرأة المسلمة ! إنه طريق التوبة والفلاح . . طريق الفوز والنجاح . . طريق النصر على الأعداء والعز والتمكين . . غض الأبصار . . وحفظ الفروج . . وستر العورات . . والالتزام بالحجاب الكامل الساتر الذي لا يشف ولا يكشف ولا يضيق عن البدن ولا يكون زينة في نفسه ، ولا يكون فيه تشبهاً بالرجال أو بغير المسلمات .

قالت عائشة رضي الله عنها : «يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله ﴿وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ ﴿ شققن مروطهن فاختمرن بها.

وعن صفية بنت شيبة قالت : بينا نحن عند عائشة، فذكرنا نساء قريش وفضلهن فقالت عائشة رضي الله عنها : إن لنساء قريش لفضلاً، وإني - والله - ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشدّ تصديقاً بكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل؛ لقد أنزلت سورة النور ﴿وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ انقلب إليهن رجالهن، يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته، وعلى كلّ ذي قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرّحل، فاعتجرن به^(١)، تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتجرات، كأن على رؤوسهن الغربان . .

فأين نساء المؤمنات اليوم من المسارعة إلى العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ؟ أين هن من الحجاب الكامل الساتر البعيد كل البعد عن التبرج والفتنة؟

(١) اعتجرن به : لففن به رؤوسهن.

وما موقف تلك المرأة التي تلبس عباءة الفتنة، عباءة الموضة، عباءة التبرج، لتفتن بها عباد الله، وتستجلب بها أنظارهم وقلوبهم وغرائزهم.. قال النبي ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها» [رواه مسلم].

٥ - وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣] قال عكرمة: هو الرجل يرى المرأة فكأنه يشتهي، فإن كانت له امرأة فليذهب إليها، وليقض حاجته منها، وإن لم يكن له امرأة فلينظر في ملكوت السموات والأرض حتى يغنيه الله..

وكذلك أنت أيتها الأخت المسلمة.. الفاضلة العفيفة.. إن كنت ذات زوج فقد أحلّ الله لك ما يكون بين الأزواج من المتعة المباحة والشهوة الحلال، وإن لم تكوني ذات زوج فاصبري حتى ييسر الله لك زوجاً صالحاً، فإن الصبر عاقبته حميدة، وقد بيّن الله تعالى أن الخير في التزام طريق الصبر والعفاف فقال سبحانه: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْ خَيْرٌ لَهُمْ﴾ [النور: ٦٠].

فالجئي إلى الله عز وجل، واسأليه من فضله، وأكثرني من

الصلاة والدعاء والاستغفار، فمن أدام قرع الباب يوشك أن يُفتح له . .

٦ - ومدح الله تعالى مريم ابنة عمران بالعفاف فقال سبحانه : ﴿ وَمَرْيَمَ أَبْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانٌ وَالْحَنُوفُ عَلَيْهِمْ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴾ [التحریم : ١٢].

٧ - وقال تعالى مبيناً فضل من عفا وراقب ربه : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ [الرحمن : ٤٦]. قال مجاهد : هو الذي إذا همَّ بمعصية ذكر مقام الله عليه فانتهى .

وقال غيره : إذا أراد أن يذنب أمسك عن الذنب مخافة الله تعالى .

٨ - وبين تعالى أن طريق الإحصان هو طريق الصالحين التائبين، وأن طريق الشهوات هو طريق الضالين الهالكين، فقال سبحانه بعد أن ذكر المحرمات من النساء وحثاً على النكاح من الحرائر العفيفات أو الإماء العفيفات : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [٢٦] وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٦ - ٢٨].

قال ابن كثير رحمه الله : « يخبر تعالى أنه يريد أن يبين لكم أيها

المؤمنون ما أحلّ لكم وحرّم عليكم مما تقدّم ذكره في هذه السورة وغيرها ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ يعني طرائقهم الحميدة واتباع شرائعها التي يحبها ويرضاها ﴿ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي من الإثم والمحارم، وقوله : ﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ أي يريد أتباع الشياطين من اليهود والنصارى والزناة أن تميلوا عن الحق إلى الباطل ميلاً عظيماً^(١).

أحاديث نبوية في فضل العفاف

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : «سبعة يظلهم الله في ظلّه، يوم لا ظلّ إلا ظلّه؛.... وذكر منهم : ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ربّ العالمين» [متفق عليه].

تدبري أختاه هذا الموقف . . امرأة ذات منصب وسطوة . . وهي كذلك ذات جمال وحسن ودلال . . ورجل ضعيف لا حول له ولا قوة . . لا يراها أحد إلا الله عز وجل . . والمرأة راغبة في

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٦٢٥).

الفاحشة . . ولن يحاسبهما أحد من البشر، والرجل له شهوة، وكذلك المرأة، والمكان مهياً . . والشيطان متربص . . ولكن مخافة الله عز وجل تهتف في أعماق هذا الرجل : إياك أن تسقط . . إياك أن تبيع جنة عرضها السموات والأرض بشهوة لا تستمر إلا دقائق معدودة . . فينتبه الرجل إلى نفسه ويقول في عزة وشموخ : «إني أخاف الله رب العالمين» : جمالك لن يفتنني، وجاهك لن يغلبني . . ورضا الله عندي أغلى من نيل كل شهوة وإدراك كل لذة . .

***ويا ليت نساءنا وفتياتنا يتعلمن من هذا الرجل درساً في العفاف والفضيلة والتسامي فوق الغرائز والشهوات . . درساً في قياد النفس وامتلاك زمامها عند الشدائد والمدلهمات من المواقف . . حتى لا تسقط المرأة والفتاة عند أول بارقة من فتنة . . ولذلك استحق هذا الرجل أن يظله الله تعالى في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه .**

٢ - وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها : ادخلي من أيّ أبواب الجنة شئت» [أخرجه ابن حبان وصححه الألباني].

فحفظ الفرج من أسباب دخول الجنة والتمتع بما فيها من نعيم

مقيم لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر . .
فيا أيتها المسلمة هذا طريقك إلى الجنة فالزميه : أداء الصلوات
 الخمس في مواقيتها، وصيام شهر رمضان، والعفاف، وطاعة
 الزوج في غير معصية، وفعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه،
 وتقوى الله عز وجل في السر والعلانية .

٣ - وفي قصة الثلاثة الذين آواهم الغار وانحطت عليهم صخرة من
 الجبل فسدت عليهم الباب فلا يستطيعون الخروج؛ دعوا
 بأعمال صالحة عملوها، ليفرج الله عنهم ما هم فيه، فقال
 أحدهم : «اللهم إنه كان لي ابنة عم، أحببتنا كأشد ما يحبُّ
 الرجال النساء، فأردتها على نفسها، فامتنعت مني، حتى أَلَمْتُ
 بها سنة من السنين - أي نزل بها القحط والشدة والجوع -
 فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني
 وبين نفسها، حتى إذا قدرتُ عليها - وفي رواية : فلما
 قعدت بين رجلها - قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم
 إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي،
 وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك
 ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت
 الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها...».

فهذه المرأة كادت تقع في الفاحشة بسبب الفقر والقحط الذي ألمّ بها، وربما رأت أنها معذورة في ذلك، ولكن لا عذر لها، فالحرّة تجوع ولا تأكل بثديها . .

وبينما هي تمارس فعلتها تحت ضغط الفقر والجوع والمطالب التي لا تنتهي، إذا بصوت الدين ينطلق في خفوت، وكأنه يودّع أنفاسه الأخيرة : يا عبد الله ! اتق الله، ولا تفضّ الخاتم إلا بحقه . .

ونزلت كلماتها كالصاعقة على هذا الرجل . . فانتبه لنفسه، واستيقظ من غفلته، وانتبه من رقدته . . وكأنه تساءل : ما هذا الذي أفعل؟ فقام عنها دون أن يمستها بسوء . . فكتب الله لهما النجاة، وأثبت اسميهما في ديوان أهل العفاف . .

٤ - وقال النبي ﷺ : «اضمنوا لي ستاً من أنفسكم اضمن لكم الجنة : اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم».

٥ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت النبي ﷺ يحدث حديثاً، لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عدّ سبع مرات، ولكنني سمعته أكثر من ذلك . . سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«كان الكفلُ من بني إسرائيل لا يتوزع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطاها.. فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت، فقال : ما يبكيك؟ أكرهتك؟ قالت : لا، ولكنه عمل ما عملته قط، وما حملني عليه إلا الحاجة، فقال : تفعلين أنت هذا وما فعلته؟ اذهبي والدنانير لك، ثم قال : والله لا أعصي الله بعدها أبداً، فمات من ليلته، فأصبح مكتوباً على بابهِ : إن الله قد غفر للكفل» [رواه الترمذي وحسنه، وصححه ابن ماجه والحاكم في المستدرک، ووافقه الذهبي].

ما ورد عن السلف في فضل العفاف

قال ابن القيم رحمه الله : «لم يزل الناس يفتخرون بالعفاف قديماً وحديثاً، قال إبراهيم بن أبي بكر بن عياش : شهدت أبي عند الموت فبكيته، فقال : يا بني! ما يبكيك؟ فما أتى أبوك فاحشة قط».

*** وقال عمر بن حفص بن غياث :** لَمَّا حضرت أبي الوفاة أغمى عليه، فبكيته عند رأسه، فأفاق فقال : ما يبكيك؟ قلت : أبكي لفراقك ولما دخلت فيه من هذا الأمر - يعني القضاء - فقال : لا تبك، فإنني ما حللتُ سراويلي على حرام قط.

* **وقدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك، فخرجت برجله قرحة الآكلة - نوع من السرطان - فاجتمع رأي الأطباء على نشرها، وأنه إن لم يفعل قتلته، فنشروا ساقه بالمنشار، حتى فرغوا منها ثم حسموها، فلما نظر إليها في أيديهم تناولها وقال: الحمد لله، أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أني ما مشيت بك على حرام قط..**

أرأيت أقتي المسلمة!! كانوا يفتخرون بالعفاف لأنهم يعلمون ما له من فضل، وما لصاحبه من أجر ومنزلة عند الله تعالى يوم القيامة..

* **وكذلك أنت - أقتي المسلمة - افتخري بعفافك.. واعتزي بحيائك.. وافرحي بإيمانك وطهركي وصيانتك.. ولئن فرح نساء الدنيا باتباعهن الهوى، وانقيادهن للشهوات والغرائز الشيطانية، فليسوف تفرحين أنت بطاعتك لربك في الدنيا والآخرة، وسوف تباح لك الجنة بما فيها، فيا لها من سعادة، ويا له من فوز..**

وعلى الجانب الآخر توبين من كن يفرحن في الدنيا بمعصية الله، تملوهن الكآبة والمقت، ويحيط بهن العذاب من كل جانب،